

## لمحة في حياة الانسان الاول

في العصر الطراني القديم

بحفريات كسار عقيل<sup>١</sup> فوق انطلياس

بقلم الاب ج . فرانكلين يونغ اليسوعي

من جامعة فوردام ( نيويورك )

في هذا العصر الجديد ملئت العلوم الطبيعية شأواً بعيداً من الرقي مثبتة ان في طوقها حل المديد من المشاكل ، ألا ما كان منها بوجه خاص منوطاً بالشؤون الشربة في العصور الاولى . وهناك مجموعة علوم تختص بهذا الموضوع الذي يظهر قليلاً الفائدة بعيد التطبيق عملياً . وهذه المجموعة يمكن حصرها تحت عنوان واحد هو : « درس الآثار البشرية القديمة » او تحت عنوان آخر اقرب للفهم وهو : « علم الانسان الاول » . بذلك يمكننا العود الى ما كان عليه الانسان في العصر السابق للتاريخ المكتوب بزمن مديد من مثل كيف كان يعيش ، وماذا كانت ادوات العمل التي اوجدها للاستانة بها في معيشته ، وانواع المآكل التي كان يتفدى بها ، واية بيئة اقليمية كانت تلائم نموه ، وما هي المدة المقترضة لمدد سني حياته .

كل هذه الشؤون تختص بدراسة الانسان الاول ، وهي بعيدة عن شؤون العالم الحديث ، وتطور السياسة فيه ، ونفوذ شعبه وديني تاريخه . بيد ان عالمنا هذا الحالي قد أسس على ذلك الماضي البعيد المكتشف بالغموض والنسيان ، الشبه بجذيرة في عرض البحر راسخة في عمق المياه على صخر من مرجان متوار عن الانظار .

١ ) نبت كسار عقيل عن بحر بيروت عشرة كيلومترات على الطريق العامة ، وثلاثة كيلومترات تقريباً خطأ . مستنبأً عن تاطس . البحر القريب من انطلياس . اما الأوى الصخري فهو قسم من الصخور الطباشيرية العالية التابعة للمنطقة الجيولوجية المعروفة بالبوراسيك . وترتفع اعل تقاعة من مكان الحفريات ٧٥ متراً فوق سطح البحر (راجع الرسم ١)

ذلك العصر عصر البشرية الاول المترامي في بعده ، المتاهي في طول مداه ، لا يتناوله الطالب في عهد دراسته الا لماماً ، وبالماع خاطف ؛ كذلك الرجال المثقفون فانهم لا يفتقرون تماماً ما هي الوسائل المنطقية المستعملة لتسكين العلماء من البلوغ الى نتائج ثابتة تتملق بجياة الانسان الاول واذا ما قرأوا في المجلات والصحف بعض معلومات حول كيان الانسان في العصر الظرفاني استحال عليهم الحكم في ما لهذه المعلومات من قيمة صحيحة ، وغرب عن اذهانهم الاساس الذي يرتكز عليه ما فيها من اخبار . وزبدة القول ان الثقة في مثل هذه المعلومات الصحفية كثيراً ما تكون في غير محلها ، لان قوامها في الاعلب قليل من الحقائق الثابتة ، وكثير من الاعتبارات الوهمية .

في هذا المقال ، ولئن كنت شاعراً بمعجزتي عن تبيان المعلومات الكاملة الممكن القاؤها في سلسلة من الدراسات ، فقد قصدت الجواب عن بعض الاسئلة العامة المتعلقة بالطريقة المتبعة في درس العصر الحجري للانسان .

اني لعالم تماماً ان هذه الاسئلة هي في ذهن كثير من المثقفين ، لانهم كثيراً ما طرحوها علي . وحسبي في الجواب ان اظهر الاسلوب الذي يستعمله الدارسون لولوج باب هذه الدراسة . وعلى ذلك سأتخذ حفرياتنا في كارهة عقيل ، في وادي انطلياس ، مثلاً اول لذلك الاسلوب ، مقدماً بكثير من التفاصيل المعلومات الوافية عن الحفريات التي قننا بها في هذا المكان ، وعن النتائج التي توصلنا الي التثبت منها . فهذا على ظني يناسب القراء البنانيين لما يكسبهم اياه من الاحاطة الوافية العميقة بعمل يقع في داخل حدود بلادهم ، وعاند على ما نلناه الى كشف النقاب عن تاريخها القديم ، وكيف كانت الحياة البشرية فيها لعدة آلاف خلت من السنين . وهو في الوقت نفسه يؤدي الى رفعة قدر الوطن البناني وزيادة مجده .

### السؤال الاول

... اول سؤال يطرح على فكر كل انسان يتحمل باحد اولئك العلماء هو التالي :  
« كيف استدلت على وجوب الحفر في هذا المكان ؟ »

هذا سؤال جوهري يدل على ذكاء. اذ يبدو جلياً اننا لم نأت للحفر في هذا المكان الا وقد توافرت لدينا الادلة على ان حفرياته ستكون ذات ثمرة ، كما هو البديهي ان المرء لا يقوم على الحفر في مكان دون ما ادلة حية تحمله على ذلك . وللبشارة الحفريات في محلة كسارعتيل قصة طرفة خاصة زورها فتكون بمثابة جواب عن السؤال المتقدم :

من نحو بضع سنين كان احد الناس يطوف الاراضي اللبنانية باحثاً عن الكنوز المخفية التي طالما رددت الالسن الاساطير عن وجودها بكثرة في مناوور الجبل اللبناني . وفي طوافه وصل الى وادي انطلياس فذكر له ان هناك مغارة<sup>١</sup> يتناقل عنها الرواة ان جيشاً دخلها بكامل معداته نصدت عليه ، وان مذكرات ذلك الجيش ما زالت مدفونة معه بانتظار من يأتي من التقابن فيظهرها للترور . ولهذا الاسطورة على ما اظن اساس تاريخي يلهم الى قتل فئة من المسيحيين في مغارة انطلياس<sup>٢</sup> . فهذا المنقب عن الكنوز بحث عن المغارة واهتدى اليها ، ولكنه وجدها غاية خالية من اي كثر . على انه لاحظ ان فوق مدخلها نوعاً من الحجارة المتراسة على شكل ممانتل لما وجد منها في مكان آخر من الوادي<sup>٣</sup> ، فعاده ذلك الى التظن ان في هذا المكان الآخر مغارة ثانية

(١) اكتشفت في هذه المغارة ادوات ظرانية عديدة جدرة بالذكر ( راجع بخصوصها كتاب الاب غودفروي زيمونن اليسوعي المنون : *Note sur la découverte de l'homme Quaternaire de la Grotte d'Antélias au Liban*, Beyrouth, 1893 ; - *La Phénicie avant Les Phéniciens*, Beyrouth, 1900

(٢) ج.ا. في تاريخ الدويج ، المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ ، صفحة ١٥٢ بشأن هذه المغارة ما يلي : n ان عشرة اراء من اراء لبنان هموا سنة ١٣٠٧ ( عند نكبة كسروان المشهورة ) بحريهم واوادام من نائب دمشق اقوش الاقرم واحتموا في غار غربي كسروان يعرف بمغارة زيبه فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلاه فدفنوا عن نفوسهم ولم يقدر الجيش ان يتال منهم ثم بذلوا لهم الامان فلم يخرجوا فامر نائب دمشق بان يبشوا على النار سداً من الحجر والكلس وهالوا عليه تلاً من التراب وجعلوا الاحبر قتلوا بك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً حتى هلكوا جميعاً داخل النار .

(٣) هذا الشكل المتراس من الحجارة اثرت فيه عوامل الفناء تحت سطح الارض فاكت من الحجر الطباشيري . ا هو اقل مناهة . اما ترتيب الحجارة المنوه بها على الشكل الذي رحدث عليه فائدة الى تاريخ اكثر حداثة .



الرسم ١ - منظر عام لمنطقة كسار غفيل مأخوذ من الشرق ويبدو في وسط الصورة المتزل الحثي الذي بنه البعثة لسكنها ، وعلى يمينه الصخرة العالية التي كانت تكون الأوى الصخري والتي أجزبت تحتها الحفريات .

من نوع المغارة الاولى . وقد حمله الظن على الشروع في الحفر في النقطة المذكورة ، وهي المدعوة بكسار عقيل فتوصل بحفره الى كشف جدار يدعى في اصطلاح الاثريين : « المأوى المظلل بالصخر » ( Abri sous roche ) ، وواصل الحفر متممًا الى ان مرّ به الاستاذ داي<sup>١</sup> ، مدرس علم طبقات الارض (الجيولوجيا) في الجامعة الاميركية ببيروت ، فشاهد الادوات الحجرية والعظام المتحجرة التي كانت تنقل مع التراب والحجارة . من الحفائر ، وبالرغم من انه لم يكن اختصاصياً في علم تاريخ الانسان الاول فقد تنبه الى خطورة هذه المكشوفات ، وحاول ان يقنع الباحث عن الكنوز بان لا امل بالعثور على كثر ذهبي تحت مثل هذه المظاهر العريقة الراجعة الى عهد لم يكن للانسان فيه ان يعرف بعد شيئاً مما يختص بالمعادن . ولكن بجائتنا هذا قرر مواصلة الحفر لان ملاحظة الاستاذ لم تقنمه وتثبط عزيمته ، بل زادته املاً بالعثور على ما يهوى . واستطرد الانكباب على العمل الى ان بلغ في حفره الى عمق ١٥ متراً . اما الاستاذ داي فحصل معه بعض مساطر من هذه الادوات الحجرية ، والعظام الحيوانية ، وبمث بها الى اربعة لتفحص هناك بواسطة الخبراء الاختصاصيين وعلى هذا النحو دخلت عملة كسار عقيل في عالم العلم .

اما المذهب عن الكنوز فلم يطل به الامر حتى اوقف العمل ، فلما استعاد كسار عقيل هدوه كما كان بالامس فما قبل منذ آلاف من السنين . وظلّ هذا المدور لا يقلقه مقلق الا من مدة غير بعيدة ، فلقد جاءه في سنة ١٩٢٦ ، بعض العلماء الفرنسيين فقاؤوا ببعض حفريات سطحية<sup>٢</sup> . وفي سنة ١٩٣٧ قدم الاب جوزف دوهرتي ( Doherty ) اليسوعي ، من جامعة برنسن ( بوسطن كولدج ) في ولاية ماساشوزت في الولايات المتحدة الاميركية ، باحثاً عما كان مجدياً من الحفريات . فقيل له انه قد يجد في كسار عقيل ما يحقق رغبته . تلك كانت نصيحة العلامة

F. Day, *The rock Shelter of Ksar 'Akil*. American University of Beirut, (١) Special Report, 1924.

Delcourt, *Observations sur l'Abri de Ksar 'Akil (près Antélias, Liban)*, (٢) Bulletin de la Société de Préhistoire Française. Volume 24, 1927, pages 56-61 ;

E. Passernard, *Mission en Syrie et au Liban*, ib., pages 70-72.



الرسم ٣ - منظر للحفريات في عام ١٩٣٨، حينما اكتشف الهيكل البشري الذي سميناه «إكبرت» وتراه في عمقه على جانب الجدار الصخري في أسفل الرسم من جهة اليسار - وأما الثقب الأسود الذي يبدو في أعلى الرسم فهو واجع إلى حفر البعثة عن الكنوز . وعلى الشمال في أعلى الصورة أيضاً صخرة بيضاء اللون وهي تدل على المنطقة الجيولوجية على عمق ١٠ امتار، ووجودها أثبت لنا أن الهيكل المكتشف بقي محفوظاً في عمقه الذي دفن فيه

الفرنسي المشهور الاب هنري برويل في باريس ، المعروف في عالم المباحث العائدة الى ادوات العمل التي كانت للانسان في عصور ما قبل التاريخ . وكان الاب برويل هذا يعلم كل الطعم ما للبنان مع شأن خطير في هذا الامر وان في كسار عقيل ادوات ظرائية . فحضر الاب دوهرتي ، ومعها الاب جورج ماهان ( Mahan ) اليسوعي ، والاب جوزف مورفي ( Murphy ) اللحقان كلاهما بالمهد البايوي للتوراة في القدس ، وشرعوا جميعاً في الحفر . ولحق بهم في الدورة الثانية من الحفريات كاتب هذه السطور الاب يونغ (Ewing) . وفي هذه السنة الجارية ١٩٤٧ خف الصل ولم يبق من العلماء الا الاب دوهرتي والاب يونغ والاب مورفي اليسوعيون ، والاستاذ هربرت ريت ( Wnght ) من جامعة مينوسوتا (Minnesota) في مينياپوليس التابعة للولايات المتحدة الاميركية .

ان الطريق المؤدي الى الكشوف المثيرة ليس دائماً بالطريق الواسع السهل ، على ان هناك دلائل عامة تمكن من تخمين احتمالات توصل الى الاماكن المحتوية على العاديات ، والطرائق العامة للبحث تهدي الى مثل هذه النتائج منها اعتبارات راجعة الى الحس العام كوجود الماء اللانم حياة الناس الاولين ، ثم ان المفاور والمآوي المظلة بالصخور تستحق دائماً ان تكون موضوعاً للبحث . اما فيما يخص الرجل الاول الذي عاش في وسط العهد البلايستوساني (Pléistocène)<sup>١</sup> فالمفاور لا خطورة كبيرة لها لان اكثر محتوياتها ظهر مثاها في الاماكن المفتوحة ، او الاماكن التي كانت مفتوحة في ذلك العهد قبل ان تطورها الاتربة والحجارة . ومثل هذه الكشوف حفر وآبار مثل التي عرفت على ضفاف نهر التيس قرب لندن<sup>٢</sup> او يبحث عنها على ضفاف الانهر التي تنحدر تدريجياً

١) عهد البلايستوساني هو المتبر اقدم عهد بشري ، ويدعى ايضاً العهد الثلجي ، وهو آخر الاطوار الميوتوجية قبل عهد الهولوساني الحاضر للانسان . ويقسم العهد البلايستوساني هذا في اربعة الى اربعة اطوار مناسبة لاطوار الثلج وفي غير اربعة ، حيث لم تشمل طريقة الحساب التاريخي الاوربية كما في بلاد الصين ، يقدم هذا العهد اصلاً الى حديث ومتوسط رقدم .

٢) وقد وجد هناك قطعة من الجمجمة المشورة المشورة باسم مكتشفها «سوانس كوم مان» Swanscombe Man» راجع *Report on the Swanscombe Skull, Journal of the Royal Anthropological Institute, London, Volume 68, 1938, p. 18-98.*



الرسم ٣ - صورة .كبيرة للفسم الازين من اسفل الرسم السابق، وهو يظهر الميكل البشري في محله كما عثر عليه تحت الجدار الصخري .

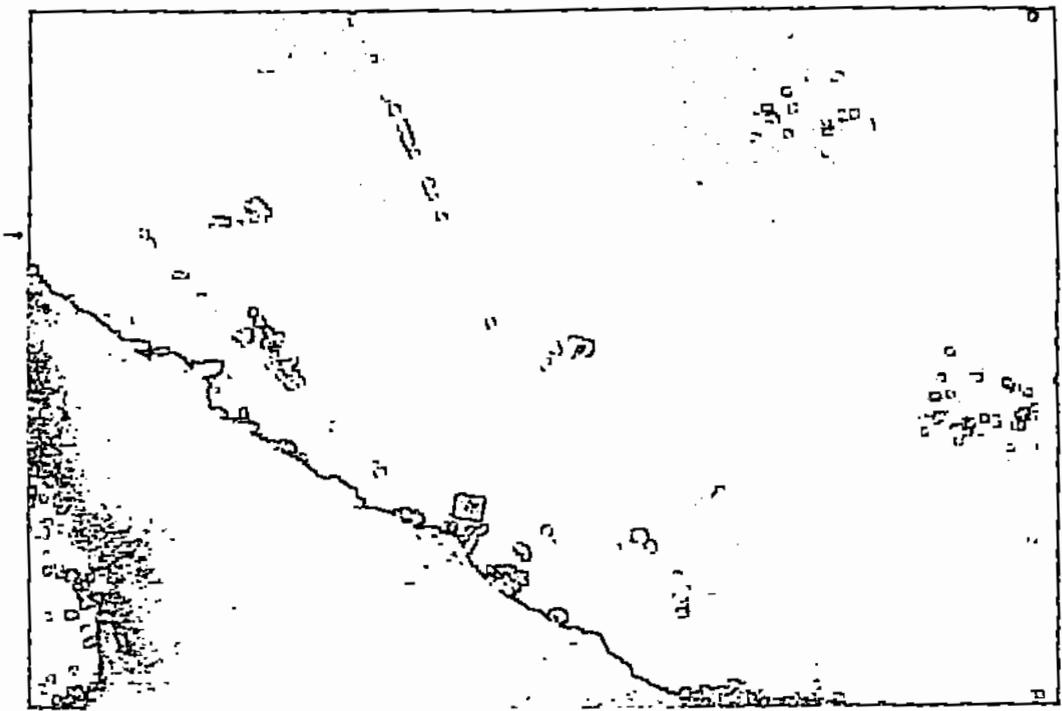


الرسم ٤ - لوحة «الشيسترو» التي صُبَّت على الميكل البشري لحفظه في اثناء الحرب، وترى المال يسلمون تحت اداة الاب «د» و«ر» لتطم القطعة بكاملها من الصخرة المجاورة .

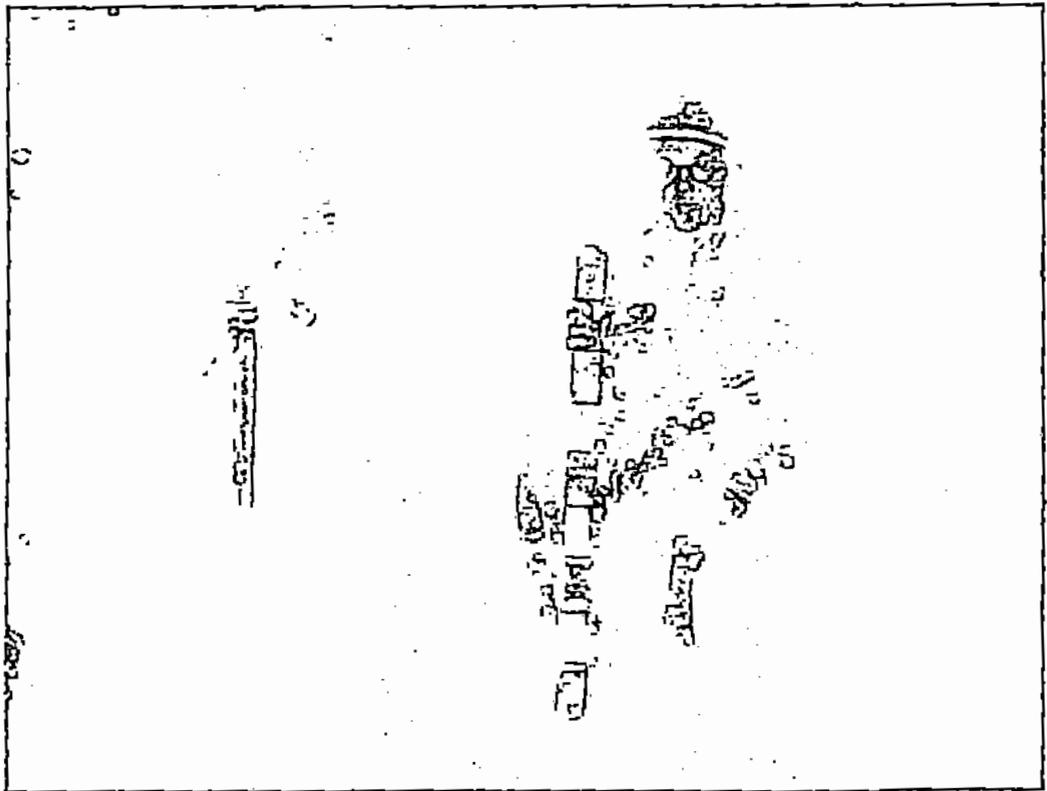
وتسجل الاثرية من الشاطئين<sup>١</sup> كذلك المناطق الصحراوية فان رياحا تثير الرمال والحصى فتكشف المغابى .

لكن من البديهي ان البحث يجب قصره على المناطق التي كانت موافقة لاعاشة الرجل في العصور القديمة<sup>٢</sup> . وهناك مصادر بحث غريبة تفيد احيانا كثيرة العلماء الباحثين على مثال ما وقع للملانة الاستاذ فون كونيگفالد ( Von Koenigswald ) الالمانى الذي وجد في بعض الصيدليات الصينية عظاماً واستاناً جيولوجية عريقة في القدم جي. بها الى الصيدلية لتسحق ويستعمل مسحوقها في تركيب بعض العقاقير الطبية . ولدى فحص هذه العظام والاسنان توصل الاستاذ كونيگفالد الى كشف الاسنان المشهورة الان بنسبتها الى الرجل الاول المعروف في عالم العلم باسم Gigantipithecus<sup>٣</sup> . فالكشوف التي يعثر عليها في مثل هذه الطرق تكون ذات خطورة مختلفة ، وزانا هنا في حاجة الى شرح الواقع الاساسي الذي حملنا على اعتماد الحفر في محلة كسار عقيل . هذا الواقع نسميه دافع القرينة ، فبعضه وبتمحيص الطريقة الاثرية التي استعملناها في كسار عقيل ، قنين الاصول العلمية التي حفرتنا واسس التقيد الفني التي قادت خطواتنا الى هذا الاكتشاف .

- (١) الاكتشافات القوية للباكل البشري التي عثر عليها على ضفاف الاخر تشمل الميكل البشري المعروف باسم بيتكانثروبوس ( Pithecanthropus ) للملم ديبيوا ( Dubois ) ؛ وفي عهد احدث قطعة المكانثروبوس ( Meganthropus ) الموصوفة في كتاب : F. Weidenreich's : *Giant Early Man from Java and South China Anthropological Papers of the American Museum of Natural History, New York, Volume 40, Part 1, 1945.*
- (٢) العاديات الجميلة المائدة الى العصر الظرفي الحديث النيولونيك ( Néolithique ) كُشفت في النجوم بمر في منطقة هي الان صحراوية . G-Caton-Thompson and E. W. Gardner, *The Desert Fayum*, London, 1934 ; S. A. Huzayin, *The place of Egypt in Prehistory*, Cairo, 1941
- (٣) راجع وصفه في كتاب : F. Weidenreich, *Giant Early Man From Java and South China, Anthropological Papers of the American Museum of Natural History, New-York, Volume 40, Part 1, 1945.*



الرسم ٥ - حالة الخفريات في تموز ١٩٦٢، وقد بلغت الـ المعجرة الاساسية على عمق ٢٣ متراً.



الرسم ٦ - صورة الاب يرونغ من جامعة برستون ، والى جانبه رئيس عمال البناني .

### معنى القرية المحيية

من زمن طويل جداً اوى الرجل الأول الى هذا المأوى المظلل بالصرح المعروف الآن بكسار عقيل . وهناك تحت هذه المظلة الصخرية سكن واشمل ناره لثي لحوم الحيوانات التي كان يقتنصها ويأتي بها الى مأواه هذا . وبعد اكل هذه اللحوم كان يكسر العظام المستطيلة ويستخرج ما فيها من نخاعات جامدة وسائلة ، وكان يأتي ايضاً بججر من الصوان قطعه من احد الصخور القريبة واقبل على نخته بعراة ليجعل منه اسلحة وادوات ظرائية كالرؤوس للحراب والسهام ، وكالماشط لنحت قوائم الحراب الحشوية وصقلم ، كذلك لكشط اللحوم اللاصقة بالجلود ، والسكاكين لقطع مختلف الحاجات المعاشية ، والازاميل لكسر العظام ولنقش الرسوم في القطع العظمية والحجرية .

ان الرجل الاول كان يصنع هذه الادوات وغيرها من الصوان بفضل خصائص هذا الحجر المعروفة ، فانه بسبب صلابته يحفظ حده طويلاً دون ما انشلال ، وهو في الوقت نفسه قابل للتكييف طبقاً للمطلوب .

فهذه الادوات ، مع الشظايا المتناثرة من الحجر الصواني عند صنمها ، كانت تقع في الارض فتأتي الحول والاقذار المنقولة بالارجل ، والنبار الذي يثريه الهواء ، فتطيرها . كذلك كانت قطع من الصخور المظلمة للمأوى تتساقط وتنضم الى تلك الشظايا فتتلف كلها طبقة على شكل بساط ممتد على الحضيض الحجري .<sup>١</sup> وبمد مرور زمن كانت الطريقة التي تصنع بموجبها الادوات الظرائية اخذت تتطور ومع تقلب الهواء الذي كان يهب شديداً في بعض الاحيان كانت الحجارة تتساقط من سقف المأوى تارة كثيرة وطوراً قليلة ؛ كذلك كانت اجناس الحيوانات القاطنة هناك تتبدل على توالي الاجيال . فكل تلك التطورات تظهر آثارها في هذه الانتقاض المفروشة طبقة فوق طبقة في تلك المحلة

(١) راجع ما كتب عن خاصة الصوان والخرق المتمثلة لصنع الادوات منه في الخرو-

الاول من كتاب M. C. Burkitt's . The old stone Age Cambridge, 1933

مُشابهة في شكلها ركائماً من السجايد كما تبدو في مخزن من مخازن تجار اليرم، منها الصفيق والرفيع الناعم والحشن، وقد رصت بعضها فوق بعض . ومن البديهي ان السجادة السفلى فرشت اولاً والعلوية هي المفروشة اخيراً . ذلك ما يريده العلماء . تماماً حين يذكرون ناموس تراصف العاديات . هو اعتبار بسيط ، ولكنه اساس وصفي لكل طريقة تنبع في الاعمال الحفرية . فن الواضح اذن اننا متى قمنا بالحفر بطريقة علمية في مكان ، وغابتنا التوصل الى رسم صورة جديدة لتاريخ الرجل الاول ، يترتب علينا الانحفر دون ما تمييز فنخلط بين العاديات التي زمر عليها على اختلاف طبقاتها . فغابتنا من هذا البحث ان نتأكد بالتدقيق اي شكل من الادوات الظرائية المكشوفة سبق الشكل الآخر . واي نوع من الحيوانات ظهر في زمن معين ، واي نوع تبعه . فلذلك كل اهمية هذه العاديات من حجارة او عظام سواء كانت تابعة لحيوان او لادمي هي محصورة في عين العالم الاثري بمعرفة الطبقة الارضية التي وُجِدَت فيها ، والمكان الذي استخرجت منه ، وما اذا كان لها شأن ملحوظ من جهتي الفن والطرافة ، « القرينة المحلية » او « القرينة المصدر »

### الحفر الصلي

قبل مباشرة الحفر يدرس العالم بقعة الارض التي يريد الصل فيها بكل ما أوتي من خبرة وعلم سابق ، ثم متى اتم تحديد النقطة التي ينوي العمل فيها باشر قسمها الى مربعات مرقومة باعداد ، اكل مربع عدده ، حتى يمكنه العود اليه في قابل الحين ، فينسب كل اثر الى مصدره « الدقيق » . ففي كساد عقيل قسمنا البقعة الى مربعات عرض كل منها متران ، باعتبار ان هذا الحجم موافق لمرضنا . وقد تكون هذه المربعات اكبر مما فعلنا كما جرى الاحر في جنيل . حيث كانت البقعة اوفر اتساعاً ، فكانت المربعات يؤولف كل منها من عشرة امتار ولدى المشور على شي . ذي خطورة عظمى كان موقمه يحدد بارفر دقة . ومن البديهي ان تجاور المراد الاثرية يجب ان يدون لان ذلك كثيراً ما يساعد على كشف بعض الغوامض ، مثال ذلك المقعد الذي وجد مؤخراً في كساد عقيل فان ملكه

كان قد فني ، ولكن الحبات بقيت منظومة بعضها الى جانب بعض ، فلم يشر عند اخذها الى الترتيب الذي وجدت عليه ، ويؤخذ رسمها شمسياً لاستجال اعادتها الى الشكل الذي ظهرت عليه في موقعها .

كذلك اذا وجدنا حجراً مستديراً ملوناً بلون المفرة الحمراء ، فن المحتمل ان يكون قد استعمل لسحق هذه المادة فبقي لونها عليه . واذا كان هذا الحجر المستدير موضوعاً فوق حجر آخر او الى جانب حجر مربع اجزب فيكون ذلك الاحتمال حقيقة لا شك فيها . فكل هذه الاوصاف الدقيقة المتواصلة يستتج منها العالم البعثة كثيراً من المعلومات . والصبر هو الصفة الاولى الواجب عليه الاتصاف بها في هذا العلم كما في غيره من العلوم ، وهي كثيرة .

بعد البحث عن القرائن السطحية ينتقل العالم الى القرائن السودية . ويتعم عليه ان يقدر في الحفر الى اي عمق تعود مختلف طبقات العاديات . ولربما وصل الى مرغوبه باكثر سهولة فيما اذا باشر الحفريات من جانب بدلاً من ان يتزل فيها عمودياً ، ولذلك فانه يباشر الحفر الى جانب البقعة كما يسهل عليه فحص طبقاتها ، ويتمكن من النظر اليها كما ينظر من جانب الى ركاب السجاجيد المرصوفة . ولم يكن من حاجة في كسار عجيل الى مثل هذه الطريقة بسبب وجود البئر الفرعية التي حفرها الباحث عن الكنوز في هذا الموضع . والذي ظهر ان هذه الطبقات المتراصة لم تكن في ترتيب منظم كركاب السجاجيد ، لان في ارضها صعوداً وهبوطاً مناسبين لتعرجات الارض عند سطحها او لاختلاف اذوات الرجل الاول في اختيار منزله .

ذد على ذلك ان في كسار عجيل طبقات ارضية كثيراً ما كانت مطبورة بالرماد الناتج عن نيران كانت تشعل في تلك المعلة ، وتترك الى ان تنطفئ ويبدأ من ذات نفسها . كل ذلك لا يفوت الحفارين لانهم يكونون عادة من ذري المران ، ويتتبعون اعالمهم تحت اشراف عالم اثري فترام يبتزون من عند انفسهم بين طبقات العاديات الارضية المختلفة ، كما في اعلاه ، ويتبعون بكل امانة وتدقيق تصاميم المربعات .

والجدير هنا بالذكر اننا توقعنا كثيراً في اختيار المهال الذين يقومون بالحفر

في كسار عقيل فانهم من اللبانيين المهرة الاذكياء . وكثيراً ما اثبت عليهم في احاديثي وكتاباتي مبدياً الارتياح الى دقتهم ونشاطهم وبراعتهم .

فالحفارون يضمون الادوات الظرائية والعظام التي ينقلونها في اكياس من الورق . وترقم على كل كيس علامة المربع والطبقة الترابية وتاريخ اليوم ، وغير ذلك من المعلومات الاخرى المفيدة بهذا الصدد .

وكل ما يخر من الارض يجمع ويبأ في قفف ويرفع الى سطح الارض حيث يجري فحصه غربلة . والغربة تكون بفرز التراب والاقذار وتنقية القطع الصوانية والعظمية بها دق حجماً ، ووضعها في اكياس مرقومة تماثل بارقامها اكياس الحفارين . ويكتسب المغربلون بالزاولة مهارة جلي في ملاحظة ما يعثرون عليه بين التراب من قطع الاسنان والصوان المتناهية في دقتها .

وفي اغلب الاحيان يرى ضرورياً تنظيف هذه القطع من الاتربة اللاصقة بها قبل ان تعرض للدرس . ويكفي لذلك عادة حامض المييدروكلوريك ( acide chlorhydrique ) ممزوجاً بالماء ، والآ فيلبأ الى الكشط ، واهياناً يكون الكشط ضرورياً ويجري بكشط غليظ على مثال السكين .

ويجري الفرز الاولي في القطع الظرائية والعظام . اما الكسر الصغيرة والقطع المكتشفة بالايجام فتحصى بالعدد وتطرح خارجاً . ويمكننا عدد مجموع القطع المحفوظة والمطروحة في كل مربع من تخمين كثافة السكان الاقدمين في كسار عقيل ، في كل زمن من الازمنة الطاربة . وهذه على ما اعلم الحفريات الاولي التي تستعمل فيها مثل هذه الطريقة .

اما الدرس الاخير للقطع المفروزة فينبغي ان يجري في متحف كبير او في احدى الجامعات حيث المجموعات الواسعة من العظام والمواد الظرائية المجموعة من مناطق اخرى مختلفة ، فيقابل ضرورة فيما بينها وتستخرج من هذه المقابلة النتائج الطيبة ، اذ لا يمكن ان يجمع في كتاب كل التفاصيل لكل من النواحي والاجناس والادوات والبقايا الحيوانية التي يعثر عليها .

اما كسار عقيل فطلاوة على ما فيه من ملايين القطع تراه مسرماً لمشاكل اخرى خاصة ، احداها الميكلان البشريان المكتشفان على عمق ١١ و ١٢ متراً .

فاننا عند بلوغنا الى هذا الصق في مربع قريب من جدار المأوى المظلل بالصخر شاهداً عدداً من الحجارة المستغربة الوضع . فهي حجارة منعمة بتأثير مرور المياه عليها ، مما يدل على انها مأخوذة بايدي بشرية من مجرى النهر القريب ، فاخذنا لها صوراً شمسية ودوناً بشأنها ملحوظة خاصة أشرنا فيها الى جمها مباشرة من جدار المأوى . ولقد كانت هذه الحجارة ملتحة بعضها ببعض كما لو كانت طينت باليسنتر . وقد تم ذلك الالتحام بما تسرب اليها على طوال الاجيال من المياه المدنية الحاملة بالخصوص مركبات الكليوم (كربونات الكليوم) التي اكتسبتها بمرورها على صخور المأوى الكلسية . فشرعنا برفع هذا الركام من الحجارة واحداً بعد آخر حتى انتهينا الى هيكلين بشريين احدهما اوضح شكلاً . وقد لم راسه لانه على ما يظهر كان محفوراً تحت بلاطة يسندها من الجانبين حبران . ولكن هذه البلاطة سقطت لسبب لا نعرفه فشوت جانباً من حجته تشويهاً يبطاً لحسن الحفظ .

ولما رفعت كل هذه الحجارة من المدفن تبين لنا ان القسم الاكبر من هذين الهيكلين قد تحجر . والتحق كلاهما بالارض التي دفنا فيها بمامل المياه الكلسية المشروح عنها آنفاً .

وهذا المزيج المتحجر من التراب والحجارة والنظام الذي يظهر عادة في الحفريات يسمى باصطلاح الاثريين بريثياً (Breccia) . وهذا حيثما وجد في هذا المحل او في اسفل المأوى او غيره من المواقع يكون مشكلة خاصة لارباب الحفريات .

ولما كان هذا الهيكل العظمي لاصقاً بما حوله من الصخور فلم يكن من المتيتر رفعه بسهولة من موضعه . وعلى ذلك كان لا بد من ان يقطع الصخر حول المدفن كله ليسهل رفع هذا المدفن قطعة واحدة . ويرجأ عمل فصل الهيكل الدقيق ريثما ينقل الحجر بومته الى المخبر . أما في غير ذلك من المدافن فلا

(١) اطلقنا على هذا الهيكل البشري الاكثر وضوحاً اسم « اكبرت » (Egbert) ، فاصح معروفاً به بين العلماء . وقد فضلناه بسبب ايجازه على غيره من الاسماء اللاتينية التي اعتاد العلماء اطلاقها على ما يكتشفون من الهياكل البشرية وكل منها ساء في الطول والتعدد .

صهوبة في رفع العظام من الارض التي وُجِدَت فيها .  
وعلى ذلك فلا بد من تحقيق عدة شروط لحفظ الهيكل من كل ما يضره . من ذلك صيانته ، حال كسبه ، من تأثير المرا ، ونتائج تقلب الطقس بين النشوة والرطوبة ، فان تمريضه للهواء يعمل على افساده ويسبب له التحلل والتفتت .

اما البقايا البشرية العائدة الى العصور القديمة الالوية مثل العصر البلايستوساني الاوسط فقلما يثر على هيكل كامل منها ، فنكتفي عادة بعظم واحد او بكسرة منه لدراسة مثل هذه البقايا . وهذه الدراسة تستوجب علماً واسعاً وخبرة طويلة في علم التشريح .

بقي علينا ان نثبت بالتدقيق ما هي العصور العائدة اليها كشفوتنا في كسار عقيل ، على ان يجثنا هذا ليس نهائياً بل من الممكن تعديله فيما بعد<sup>١</sup> ، لاننا لا ننجز الحفريات تماماً ولا نقوم على الخصوص بدراس النمودجات التي استخرجناها دراسة مستوعبة لان مثل هذه الدراسة تتطلب سنين عديدة .

### كسار عقيل في ما قبل التاريخ

لا يخفى ان العلم المختص بالادوات الظرائية وغيرها مما صنعه الانسان قبل فجر التاريخ المخطوط ، يسمى " علم ما قبل التاريخ " وهذا العلم يقدم الزمن الى عصور عديدة طويلة المدى اخصها العصر الذي عاش فيه الانسان على الارض قبل استنباط الكتابة . فالعصر الاول والاطول من هذه العصور ، هو المعروف بالعصر الظرائي القديم او الباليوليتيك ، يليه العصر الظرائي المتوسط او المتوليتيك ثم العصر الظرائي الحديث او النيوليتيك .  
وبعد هذه العصور الحجرية تأتي عصر اكتشاف المعادن ولكن ليس من شأننا هنا الاهتمام بهذه العصور الاحداث عهداً .

(١) قد اثار كاتب هذه السطور الى كل ذلك في مقال آخر نشره في مجلة انكليزية عنوانه: *Preliminary Note on the Excavations at the Palaeolithic Site of Ksar* ،  
\*Akil, ( Republic of Lebanon ), Antiquity, London, December 1946 .

ولكنه زاد هنا النتائج الجديدة التي اسفرت عنها الحفريات الجديدة في السنة ١٩٤٦ .

اما العصر الطراني القديم او الباليوليتيك<sup>١</sup> فيقدم بدوره الى ثلاثة اطوار: حديث ومتوسط وقديم . فاذا عدنا الى الادوات الطرانية الظاهرة في كسار عقيل وجدنا انها عائدة الى كلا القمين : القم الابعد من الطور المتوسط ، والاحداث من الطور القديم الباليوليتيكي .

وقد غلب على مثل هذه الادوات في الاصطلاح الاثري اسم المكان او الامكنة الاولى التي وجدت فيها بكثرة مثل : لتالوا ، وموستيه ، واورينيالك ، (Levallois, Moustier, Aurignac).

ومن خصائص الصناعة الشربية في هذه الاطوار انها كانت سطحية ، اي ان اكثر الادوات المعاشية كانت تصنع من قطع مصفحة من الحجارة الصوانية . وطريقة صنعها انها كانت تقطع من الصخرة العريضة الاصلية وفق المطلوب ثم تنحت مصقولة اما من قبل ذلك فكانت هذه الادوات تنحت على القطعة الاصلية نفسها ، فتأتي بشكل في غاية الثقل والضخامة . وقد سميت بالفرنسية (coup de poing) اي ضربة اللكمة او الضربة بجمع الكف ، اشارة الى شكلها الضخم المستدير كاللكمة .

### الطور الطراني المعروف باسم موستيه Moustier<sup>٢</sup>

كان الاقوام الذين اشتلوا بالظران في هذا الطور يوصلون القمع المصفحة من اصل صخرة صوانية وينحتونها بمهارة من جهتها العليا . والادوات المنحوتة على هذا النحو سهلة التمييز عن غيرها ، ونخص منها بالذكر الكواشط المرققة بطولها من طرف واحد كحد السكين ، ثم المغازز والاسطوانات الصغيرة

(١) ربما كان احسن ترجمة لدرس العصر الحجري القديم او الباليوليتيك كتاب بيركيتز M. C. Burkitt's, *The Old Stone Age*, Cambridge, 1933 وان كان يحتاج الى قليل من التعديل طبياً للاكتشافات الحديثة . ونخص بالذكر من المؤلفات المشتملة على هذا العلم كتاب :

A. Vayson de Pradenne, *La Préhistoire*, Paris, 1940.

(٢) موستيه (Moustier) اسم بلدة من اعمال فرنسا قريبة من (Les Fyzie).

الغليظة الشكل وكان هؤلاء الاقوام من الجنس البشرى المنتمي الى الرجل المعروف بالنياندرتالي (Homme Néandertal) (١).

اما الاقوام الذين اتبعوا في اعمالهم الظرائية طريقة Levallois فقد كانوا ينحتون القطعة المراد صنعها في الصخر نفسه ، حتى اذا كملت واصبحت صالحة للعمل فصلوها عنه بضربة فنية واحدة . والجدير بالذكر انهم كانوا يجيدون نحت اعقاب هذه الادوات قبل ان يضربوها الضربة الفاصلة الاخيرة ، لانها بعد فصلها تصبح غير محتاجة لاي صقل او نحت .

وان اقدم ما عثرنا عليه في كسار عقيل من الصناعات البشرية يعود الى خليط من هتين الطريقتين السابق وصفها ، لذلك سميت هذه الصناعة هنا ، كما سميت في جبل الكرمل (٢) بهذا الاسم المركب Levallois - Mousterien وادوات هذه المجموعة كبيرة الشكل مكونة بالعموم من قطع مصفحة غليظة . ويلاحظ هنا ان ادوات هذه الصناعة كانت في عهدها الاقدام اصغر حجماً مما آلت اليه بعد حين في طور احدث .

وطالت المدة التي بقيت فيها هذه الصناعة اجيالاً . ومما هو جدير بالذكر المشور على طور انتقال من هذه الطريقة الى طريقة اخرى تعرف بالطور الاورينيائي « Aurignac » .

(١) وقد وصفه الاستاذ بول في كتابه المتبر مستنداً حقيقاً بالثقة لدى العلماء : Boule, *l'Homme Fossile* وهو للنشور لاول مرة في سنة ١٩٢٣ ، وقد اعيد طبعه مرة اخرى احدث هذا .

(٢) اسم منطقة في احدى ضواحي باريس وجدت فيها هذه الصناعة لاول مرة فاطلق اسمها عليها .

D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, (٢- Volume 1, Oxford, 1937.

### ١) طرقة اورينياك

اننا نطلق هذا الاسم بالعموم على الطور التابع للطور الذي سبق لنا وصفه في اكتشافاتنا بكسار عقيل، وهو تجمان ويتميز بالخصوص بصناعة الشار الحجرية لكثرة ما يعثر في الحفريات المائد عهدا اليه على ادوات شبيهة بشفار السكاكين . كذلك يتميز عقده المتوسط على وجه خاص بما تحلّف منه من اصناف الكراشط المتقنة الصناعة ، ومن الازاميل المستعملة للنحت . فهذه الازاميل رزوس تشبه مفكات البراغي وكان الاهلون في ذلك الوقت يستعملونها ، ولا شك ، في فلق العظام الحيوانية لاستخراج ما فيها من النخاعات . وكانوا ايضاً يفصلون بها قطعاً دقيقة من العظام الكبيرة ليحولوها الى ادوات منزلية تستعمل في مختلف الاغراض الماشية كالمخارز والابر وما شاكل . وكانوا ايضاً ينتشون بها على جدران المغاور الرسوم والتصاوير .

وربى الان ان في استطاعتنا تسمية نوع الصناعات المكتشفة في كسار عقيل باسمها الصحيح الذي يحوز بعدئذٍ نسبه الى الصناعات المماثلة التي تظهر في حفريات اخرى ، ولا يعني ذلك اننا لا نعثر على بعض الاستثناءات الجلية حين تقابل ما بين نموذجات هذه الصناعات . فهذه الفروق ستبدو باكثر جلا . عند انتهاء دراستنا في نشرتنا الاخيرة عنها ، ويمكننا منذ الان لفت الانتظار الى بعض نقاطها المفيدة . فالادوات الراحمة الى شكل واحد والتي تؤلف طريقة خاصة من الصناعة القديمة ، تجمع على الطريقة نفسها التي يجري عليها علماء الحيوان في تقسيم عائلاته واجناسه وانواعه ، وذلك بالاستناد الى الاشباه الظاهرة ما بينها . ولذلك حين تتمكن في عملنا من تمييز شكل من الادوات يصبح من السهل علينا فرز ما يشبهه من الارض ونسبته اليه ، بان نعلم ان هذا او ذلك الشكل من الصناعة موجود في بقعة كذا من الارض . ومثل هذه الادوات تستعمل في المتاحف كنموذجات لكل شكل من الاشكال . وعلى هذا تقتصر فائدتنا من كشف مثل هذا الشكل في احد الحقول . كذلك يمكن القول ان كشف شكل معين من الادوات الظرفانية في طبقة من طبقات الحفريات لا

(١) اورينياك Aurignac اسم بلدة قرب سان غرندرس (S<sup>t</sup>Gaudens) في جبال الپيرنه بفرنسا .

يعتبر كافياً للاستدلال على الزمن<sup>١١</sup> الذي يعود اليه ذلك الشكل. اذ قد يصح ان تبقى احدى طرق الصناعة الادوات في مكان ما دهرًا طويلاً في حين تكون هي نفسها قد تقدمت وتبدلت بغيرها من الطرق في مكان آخر. مثال ذلك في ايماننا احتمال وجود البنادق القديمة ذات الزناد الصواني (ابو قنيل) في وسط افريقية حتى الان، في حين ليس من يجهل ان هذه البنادق قد تبدلت منذ زمن طويل في اوروبا والشرق الادنى.

ولكي نمثل من جديد حياة الانسان القديم امثرا الى خطورة القرائن المصدرية في هذا الامر، ذلك لاننا بدون هذه القرائن لا يمكننا البتة ان نصل الى الترتيب التاريخي. تصور مثلاً ماذا يكون للعلم من دقة فيما اذا كان المؤرخ لا يعلم عن بعض الوقائع التاريخية في شرقنا هذا الا انها حصلت منذ وقت قديم دون معرفته ايا سبقت الآخر واي حدث منها كان ذا تأثير في غيره. فالترتيب التاريخي الذي نحدده في كل من حفرياتنا هو ترتيب نسبي مكاني. اعني اننا نعلم او نحدد ترتيب الحوادث وسياقتها الواحد بعد الآخر كصناعة الادوات مثلاً في كل حفرة من الحفريات على حدة. ولا يمكننا الاستدلال من ذلك على مدى الزمن الذي بقي فيه ذلك الشكل من الادوات الصناعية منتشراً في جميع المناطق بل في المنطقة التي نصل فيها. وهذا يجعل المقابلة بين مختلف المناطق امراً ضرورياً. مع ذلك اذا تيسر لنا كشف حادث جيولوجي جرى في زمن واحد ضمن منطقة واحدة معينة وامكناً قياس زمنه الجيولوجي بالسنين نكون قد توصلنا الى تحديد تاريخي شبه راهن لارتكازه على شواهد جيولوجية. فلا يمكن القول بترتيب تاريخي جازم الا اذا امكن ضبطه تماماً بمقاييس السنين.

(١) وقد قسم العالم غارود D. A. E. Garrod, *the Upper Paleolithic in the Light of Recent Discovery*, Proceedings of the Prehistoric Society of London, Vol. IV 1938, pages 1-36 ودعا منه الحديث منه الى ثلاثة اطوار: الحديث منه ودعا Chatelperronien والمتوسط واحتفظ له باسم الاورينياني القديم، والقديم فناء Gravetien وهي اسما. منسوبة الى امكنة اجريت فيها حفريات مشهورة. واما في كسار عليل فتعود حفرياتنا الى Chatelperronien فقط، ولكننا استعملنا كلمة Aurignacien وهي كناية لثابتنا.

وعلى كل فلا يحق لنا الجزم بان هذه الصناعة او تلك انتقلت من هذه الناحية الى غيرها ، الا اذا تأكدنا تمييز المنطقة التي ظهرت فيها بادي ذي بدو . وكيف تنقلت بعد ذلك وهذه لمصري نقطة اساسية لان تمثيل تتابع الصناعات وتطورها في منطقة معينة هو ذو خطورة كهدي لمؤرخ العاديات ، بل هو من اختصاصيات علمه . ولكنه يحتاج الى كثير غير ذلك ، اذ من النادر ان تكون اداة من الادوات ، وطريقة من الطرق ، او فكرة من الافكار ، قد تطورت في مناطق مختلفة مع استقلال احداها عن الاخرى . والذي حصل في اغلب الاحوال هو ان الحديد الذي استنبت في مركز ما كان يتد وينتقل الى غيره الأهل بالاقوام المجاورة . وهؤلاء الجيران كانوا بدورهم ينتقلون الى سواهم بعد ان يدخلوا عليه بعض التعديل والتحسين<sup>١)</sup> . فمعرفة مثل هذه العلاقات المتبادلة بين مختلف المناطق والشعوب هي غاية الباحثين عن حوادث ما قبل التاريخ ، كما ان مؤرخ الرجل المصري لا يكتفي بسرد كل حادث من الحوادث باطناب وتدقيق ، بل يسمي وراءه كشف المؤثرات الاجتماعية ، ويتناول يبحث العلاقات المتبادلة بين الدول والجماعات ، ميتاً تسلسلها بعضها من بعض وماذا كانت عللها الاولى وتائجها الاخرى .

ولنعد اخيراً الى موضوع الادوات المستخرجة من كسار عقيل فترى من واجبتنا القول اننا اكنشفنا بين الادوات المائدة الى طور الاورينيانيان بخارذ من العظم كانت ، على بساطتها ، يواذر لما تبها من اشياء كثيرة الخطورة تفوقها اتقاناً وجمالاً بالنسبة الى مثيلاتها من مكتشفات الطور الباليولينيكي ( اي النظراني القديم ) المكتشفة في اوربة .

في هذا الطور نفسه ، استخرجت الحجارة المستديرة التي كانت تستعمل لسحق المادة الترابية الحمراء المروفة بالمغرة ، ولا يُحتمل ان تكون هذه المادة الحمراء قد استعملت لتغير التجليل ، وذلك بطلي بشرة الوجه بها كما لا يزال دارجاً حتى الان عند بعض الشعوب الابتدائية . لسوء الحظ لم نجد شيئاً من

(١) راجع الدرس التيمم الذي كتبه الاستاذ كروبر عن مثل هذا الانتشار في كتاب

المسمى «انثروپولوجي» . A. Kroeber, *Anthropology*, New-York, 1932 .

الآثار الفنية في كسار عقيل . اما في اوربة فتخص هذه الآثار بالطور الاخر من العصر الجيولوجي القديم والتصاوير والرسوم المستخرجة هناك وجدت في اعماق المغاور .

### درس العظام الأثرية في كسار عقيل

لا تشكل العظام الأثرية المستخرجة من كسار عقيل القسم الاهم من العاديات التي عُثِرَ عليها في ارضه . ولكن دراستها ذات فائدة جزئية . فهناك مظهران خطيران للحياة الحيوانية القديمة في بلادنا يستريحان النظر . الاول عثورنا على عدد ليس بقليل يناهز الالف من اصناف الحلزون الصغير ، اي البزاق<sup>(١)</sup> ، في عمق يهبط قليلاً عن الطبقة التي وجد فيها الهيكلان البشريان . ثم انقطعت هذه الاصناف بصورة فجائية جازمة . والذي يُرجح في تفسير ذلك ان شعوب الطور الاورينياني في انطلياس كانوا يتغذون بالبزاق بكثرة بينما كان غيرهم من الشعوب ، ومنهم النياندرتال العائدين الى طور «ليفالوا موستريان» لا يعرفون هذه العادة اي عادة التفتدي بالبزاق .

فوجود هذه الاصناف يؤدي الى نتائج ذات اهمية في ترتيب ازمته الصناعات في كسار عقيل . وهكذا ينال البزاق الحقيق اهمية خطيرة في العصور السابقة للتاريخ . المظهر الثاني ، الذي يفوق المظهر الاول خطورة ، هو التغير الكبير الذي نشهده حالاً في الحفريات على عمق ١٦ متراً ، اذ عثرنا هناك على بقايا عظام الحيوان المعروف بوحيد القرن مع غيره من عظام حيوانات تصعب معرفتها<sup>(٢)</sup> ، تعود الفرق بين ما كان عليه ليناذاً سابقاً وكيف اصبح الان خصوصاً في اثناء الصيف ،

(١) هذه الاصناف مكونة خاصة من جنس الهليكس (Helix) وهو جنس من الحلزون يشابه تماماً جنس البزاق الذي ناكله نحن اليوم . وهناك عدد كبير من جنس الباتلا (Patella) والتروكوس (Trochus) وكلاهما من الجفرا الآتي عن شاطئ البحر .

(٢) هذا الحيوان الوحيد القرن الذي اسمه من بيت Bate في حفريات جبل الكرمل باسم : Rhinoceros cf. hemitocchus يختلف في كل حال عن وحيد القرن البارد المكتشف في اوربا في العهد البليوسيني . واما غيره من الحيوانات المكتشفة مع في كسار عقيل فهي الضبع الكبيرة Hyana crocuta والجاموس Bubalus وعدد كبير من لحيوانات الصغيرة مثل Arvicolinae و Cricetinae

الفصل الحار الناشئ ، فان هذه الحيوانات الوحيدة القرن لو كانت لا تزال باقية لما استطاعت العيش الان في منطقة انطلياس . واتنا نعلم من الابحاث التي اجريت في مناطق اخرى اننا في ابتداء الطور الاخير للعصر التاجي في اوربة نجد تغييراً عاماً في جنس الحيوانات<sup>١)</sup> التي كانت تقطن هناك ، ونشاهد ما يماثل ذلك في جوار جبل الكرمل<sup>٢)</sup> . وهذا يساعدنا على وصل طبقات حفرياتنا بطبقات سائر المناطق التي كانت عرضة لمثل هذا التغيير . ونسود الى متابعة هذا البحث في موضع آخر .

وتذكر الآن ان البقايا العظمية التي عُثر عليها في كدار عقيل تعود الى الحيوانات التي تزكّل ، اعني الحيوانات التي كان الانسان القديم يصطادها ثم ينقلها الى منزله للاقتيات بلحمها .

وهنا عامل جديد يحدو الى التمييز بان ميل السكان في هذه المنطقة الى الطعام كان يتراوح بين البراق ولحوم الحيوانات مع ذلك يمكننا التاكيد ان الحيوانات التي يُعثر على بقاياها بكثرة في احدى طبقات حفرياتنا كانت تقطن بكثرة في هذه المنطقة في ذاك الزمان . وبعض تلك الحيوانات كالاياثل مثلاً تفضل المناخ الرطب حيث الجبال والادوية المنطاة بالامابات . اما غيرها مثل الثرلان فتفضل الصحارى والبراري<sup>٣)</sup> . فبما كاننا اذن ان نحصي بقايا هذه المظام الحيوانية فنستنتج من تطلب جنس منها على آخر كيف كانت حالة المناخ في

(١) F. E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1946, p. 229

(٢) F. E. Zeuner, *op. cit.* : and D.A.E. Garrod and D.M.A. Bate, راجع :

*The Stone Age of Mount Carmel*, Vol. 1, Oxford, 1937, p. 155 155

(٣) وما عثرنا عليه كثيراً في حفرياتنا بقايا الاياثل *Dama mesopotamica* كذلك

الايبل الاحمر المعروف باسم *Capreolus capreolus* والمزى *Capra sp.* فهذان الاخيران

مع الثرزال *Gazella sp.* يكثر عددها في الطبقات الحفرية الاحدث عهداً . واما الثغبر

البري *Sus scrofa* والبقر فيكثر عددها كما عثنا في الحفر وابتدنا عن التاريخ ، واما غير

ذلك من الحيوانات فيعثر عليها بصورة نادرة مثل عظام الدب الاسمر الصغير *Ursus*

*arctos* ، وبن عائد الى فهد *Panthera pardus* كذلك العظام المائدة الى الثعلب

*Vulpes sp.*

ذلك الوقت . وهذا العمل قد أجري بنجاح باهر في حفريات جبل الكرمل<sup>١)</sup> واملنا ان نخصص مثل هذا الدرس بالحيوانات المكتشفة في كسار عقيل ، وان نستنتج منها حقائق علمية ثابتة ، واطح هذه الحيوانات عدد كبير من الايائل والمغزى والفزلان والحخترى البري والبقر ، وعدد قليل من الدب الاسمر والشعاب والجاموس والضبع من الجنس الضخم الخ . . .

والخدير بالذكر اننا لم نجد في كسار عقيل اثراً للسك . ويستنتج من ذلك - آلا اذا ظهر ما يفيد الخلاف - ان سكان كسار عقيل الاقدمين لم يكونوا من الصيادين ، ولا من اكلة السمك ، الا اذا كانوا ياكاون السمك على شاطئ البحر دون ان ياتوا به الى منازلهم في النقطة الجارية الحفر فيها . وهذا الامر يبدو لنا غريباً لانهم لم يتأخروا عن نقل الاحداف البحرية اليها ، فكيف اغضوا عن نقل الاسماك .

ومعلوم ان العلماء اهدوا في الازمان المتأخرة الى طريقة جديدة لفحص مثل هذه الشؤون تكاد لا تمدو الحقيقة وقد اسموها « طريقة فحص الطلع » (والطلع هو الصبار الذي تلقح به الازهار بعضها من بعض) .

هذا الطلع الواقع في الارض من النباتات والاشجار منذ آلاف السنين يفحص ويحدد به جنس الاشجار الذي كان ينشئه في ذلك العهد ، وتحدد ايضاً كثافتها بطريقة ذات حساب يكاد لا يختلف عن الحساب المستعمل اليوم في فحص الدم في مخابر مستشفياتنا<sup>٢)</sup> .

هذه الطريقة افادتنا كثيراً في مكتشفات شمالي اوربة ، وربما تكون ايضاً ذات فائدة في مكتشفات كسار عقيل . ولكن الاحوال هنا لم تكن تساعد على حفظ الطلع ، كما كانت تساعد في اقطار اوربة الشمالية ، ولا يسمنا الا انتظار نتيجة الفحص الجاري الآن حتى يمكننا الحكم .

D. A. E. Garrod and D. M. A. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*, (١)  
Vol. 1, p. 141 - 2.

G. Erdman, *An Introduction to Pollen Analysis*, Waltham, Mass., 1943 (٢)

## البقايا البشريّة في كمار غفيل

سبق لنا ان تحدثنا عن كشف الهيكلين البشريين في مكان لا اثر فيه لمدفن خاص لهما . فانهما وُجدا في ارض تحوات الى حجر بفعول تراب المياه الكلسية اليها . واذ كنا حتى الآن لم نتمكن من فصلها عن موتهما الحجري ، كان من المتعذر علينا ان نثبت شيئاً عنها سوى القول انها وجدت . ومع ذلك ، بما ان جمجمة واحدة منها وجدت خارجة في قسم منها عن المنطقة الحجرية ، فهذه يمكننا ان نبيدي بشأنها بعض الملحوظات<sup>(١)</sup> .

هذه الجمجمة لفتي كان حين وفاته في نحو الثامنة من عمره ، نستنتج ذلك من حالة اسنانه ، فان العمر المتوسط للاسنان عند فتیان هذا العصر معروف . ويجوز لنا القول ان هذا العمر لم يتغير كثيراً عن عمر الفتیان في تلك المهدد المريقة في القدم . اما القحف الدماغي فيه فيشابه تماماً في الحجم والشكل وكثافة العظم الاتحاف امثاله في انسان هذا العصر .

والهيكل يعود الى شكل الرجل المروف عند العلماء الاثريين باسم « الرجل العاقل » ، (Homo Sapiens) ، اما اسنانه فأكبر مما توجد عادة عند امثاله من الاطفال المعاصرين وفي فكه الاسهل شيء . من الغلاظة ؛ وشدها . هما دقت في البحث يظهران غير موجودين . كذلك لم نمر على الانحدار الخلفي الذي يلاحظ في قمة الوجنة في جنس الانسان النياندرتالي ، وانما وجنته قائمة بصورة عمودية مع استواء . كاصفحة . وهذا لا ريب من اخص ملامح الاقدمين ، على انه يوجد بعض الاوقات حتى بين افراد عصرنا الحالي<sup>(٢)</sup> .

وبما ان هذين الهيكلين يعودان الى صدر الطور البشري الارينياني

(١) راجع ما كتبه المؤلف عن ذلك في مقاله : Aurignacian Man in Syria : (Abstract), American Journal of Physical Anthropology, New Series, Volume 4, 1946, pages 252 - 3.

(٢) نجد امثال ذلك الشكل عند امالي كاليدونيا الجديدة New-Caledonia وقد خصص له الاستاذ سارازن درساً في كتابه :

F. Sarasin, Atlas zur Anthropologie der Neu - Caledonier und Loyalty - Insulaner, Berlin, 1922.

مباشرةً بعد الطور قالوا ، ووسّيته ، الذي يت بالصلة الى اقوام النياندرتال ، وبنا ان هناك مظاهر واضحة لتابعة الصناعة العائدة الى طور لقالوا - موسّيته في الطور الاردينيا-بي ، فينجم عن ذلك ان هذه البقايا المكتشفة عندنا خطورة عظيمة . ومن المحتمل ان نجد هناك ايضاً اختلاطاً في شكل الانسان في ذلك العهد ، كما وجد هذا الاختلاط في عصر اكثر قدماً في حفريات جبل الكرمل .<sup>(١)</sup> وعلى كل فلهذين الهيكلين خطورة كبرى لانهما اول الموجود من نوعهما من العصر الاردينيا-بي في الشرق الادنى .

### جيولوجية كارعيل<sup>(٢)</sup>

لقد ميّزنا عدة طبقات جيولوجية في ارض كارعيل : منها ما يعرف بلونه الاحمر ، ومنها بصلابته الدلانية ، ومنها برمله ، ومنها بحصاه . ولا نذكر هذه التفاصيل رغبةً منا في معالجة علم الجيولوجية ، ولكن لان الارض الجيولوجية تستطيع ان تساعدنا ، وهي في الواقع تساعدنا على فهم الاحوال الجوية خاصة ، التي تقلب فيها تاريخ الانسان القديم في كارعيل . ولا سيما لانها تمكنا من وضع اركان الترتيب التاريخي المعروف « بالكرونولوجية » او علم تقويم الازمنة .

واننا مع غض النظر عن الظواهر الجيولوجية المفيدة بذاتها ، وان تكن غير مهمة ، لا بدنا الا الاشارة الا ثلاث كتل او مناطق ارضية ، وهي جوهرية فيما يخص معارفنا الحالية للترتيب التاريخي ( الكرونولوجية ) في كارعيل .

وزبدة القول ان تلك المناطق هي عبارة عن طبقة او طبقتين من الدلفان

(١) راجع : A. Keith and T. Mc. Cown, *The Stone Age of Mount Carmel*, Volume II, Oxford, 1939

(٢) رجه الاستاذ هربرت رايت (Herbert E. Wright العالم) الجيولوجي التابع لبعثتنا العلمية الجيولوجية الينا بعض ملاحظات قال فيها : ان الركبات المكتشفة في كارعيل ترجع باجمها الى العصر الثلجي الاخير . ويتطلب هذا الرأي بحثاً اوسع ومقابلات مع القرائن للتوصل الى نتيجة ثابتة لتقدير الزمن الجيولوجي في المنطقة المجاورة لكارعيل .

الزجاج، والحصى الصغيرة الحشنة وتحتها بساط من الدلغان الاحمر الصافي صفاً، يكاد يكون تاماً.

وهذه المناطق تمثل «الاطوار المطيرة». وذلك يحتاج الى بعض الايضاح. في شمالي اوربة، في زمن رسوب الطبقات التي ذكرناها، ظهر راس جبل جليدي جبار ما لبث ان زحف من الشمال يقدم مرةً ويحجم اخرى، وفي حركته هذه كانت العراصف الموجاه تطوقه وتهب منه في ذهابه وايابه. وفي غضوننا على بعد الوف الأميال، في لبنان، كانت الانواء تتأثر بمناخيل الراس الجليدي فتحدث الشرفة طوراً والرطوبة تارةً، فسميت ايام الرطوبة تلك «الايام المطيرة» (Pluvial periods)<sup>١)</sup>

فكل من التشكيلات الجيولوجية التي ذكرناها كانت تتكون في طور من «الاطوار المطيرة». فاذا صح كلامنا هذا - وكل عالم جيولوجي يزدركسار عقيل يوافق على ان تشكيلاته الجيولوجية تمت في الطور الرطب - امكنتنا ان تربط بالاطوار المطيرة زحفات الجليد الثلاث التي حدثت في المهد الاقرب زماناً منا، ومن ثم تيسر لنا ان نطبق على الشرق الادنى نواميس ترتيب الازمنة الذي وضعه الاوربيون وطبقوه على مثل تلك الظاهرات التي وقعت في بلادهم في مثل العصر الذي نحن باحثره الان في بلادنا.

وها نحن للمرة الاولى يمكننا التحقق باننا نتمثل الاصطلاحات التاريخية الجيولوجية ذاتها، المستعملة على السواء في كسار عقيل في المهد الظراني الاول، وفي اوربة في الامكنة المناسبة له قديماً. وان كل موضع في الشرق الادنى مجاور لكسار عقيل، وله معه تناسب جيولوجي، يناسب واياه في رتبة واحدة على جدول الازمنة الجيولوجية التاريخية المعروف بجدول ترتيب الازمنة او الكرونولوجيا. هذا اهم ما يجب ان نستدعي اليه الانتظار فيما خص كسار عقيل عند درسا الانسان الاول.

(١) نظن ان الحجارة الصغيرة في مناطق الحفريات الكبيرة وقعت من سقف الأوى الصخري تحت تأثير العوامل الطبيعية لاسيما الرطوبة الشديدة، وربما ايضاً تأثير التبلور. واما اللون الاحمر فهو ناتج عن تحول الراسب الكلسية في المكان نفسه، فاحا يتحولها تركزت المركبات الحديدية وغيرها من المواد في محلها، فظهرت بهذا اللون الاحمر.

## ترتيب الازمنة التاريخية لكسار عقيل

آني استطيع تبيان العلاقات بين الجيولوجية وترتيب الازمنة في عاديات كسار عقيل ، وذلك على سبيل المحاولة والتخمين والترجيح ، مستنداً الى مختلف الادلة المأخوذة من المكان نفسه او من غيره من الامكنة . ان ترتيب الزمان بالضبط الكامل مع تاريخ السنين لامر جدّ عسير ، ومهما بذل فيه من عنا . فلا يتعدى حدّ الافتراض . قال الاستاذ ف . ١٠ . زوينر<sup>(١)</sup> ، من احدث العلماء عصرًا : قد يكون بدأ عمران كسار عقيل من نحو ١٢٥٠٠٠ سنة ، وان اصبحت في ظني كان الزمن الذي استغرقه عمر تلك الطبقات القائمة في كسار عقيل ، لا يقل عن الزمن الذي حدث فيه آخر تجنّد في شمالي اوربة .

ومع ذلك فان تقويم زوينر هذا عرضة للنقاش والجدل مع غيره من العلماء ، ولست ابقي الدخول واياهم في مناظرة حول هذا الموضوع في مقالي هذا .

وغاية ما اريد بمجته هنا انما هو تاريخ السنين النسبي ، ويوجه خاص الترتيب الزمني الجيولوجي مع مراعاة الوقت الذي برزت فيه الحيوانات الى عالم الحياة ، واعتبار ما يؤديه لنا علم ما وراء التاريخ وعلم الجيولوجية من معلومات وفوائد . فيغلب على ظني ان طبقاتنا هذه تكونت ردًا لتعمل الزحفات الثلاث التي حدثت في الطور الجليدي الاخير في اوربة .

فالزحفة الاولى او الابتدائية قد تكون حدثت عندما تشكلت طبقة كسار عقيل السفلى ، وموقعها في عمق ١٥ الى ١٦ مترًا تحت سطح الارض .

اما الثانية فقد تأتي معاصرة للطبقة الواقعة على عمق ١٠ امتار . وتكون الثالثة معاصرة للطبقة الواقعة على عمق متر و ٥٠ سنتيمترًا<sup>(٢)</sup> . ولم نأت بهذه الاقوال الا من باب الحدس والرجحان اذ لا يسنا التأكيد . كما اننا نشك في ان مدة ما من الزمن انقضت بين زحف الجليد وحدث «الطور المطير»

(١) راجع : F.E. Zeuner, *Dating the Past*, London, 1945, e. g. page 145 and id., *The Pleistocene period*, London, 1944.

(٢) حسب تقدير العالم زوينر Zeuner المذكور تعود هذه الطبقات الى ١١٥ الف سنة ٢٢٢ الف سنة ٢٢ الف سنة .

في لبنان ، وليس من يعرف كم كانت تلك المدة . ولكن ، ونحن في معالجة  
 العهد الحجري القديم ، نفترض مقاييس الزمان فضفاضة على خلاف التاريخ  
 المصري الذي يضبط الزمان محددًا بالسنين والشهور والايام . اما نحن ، معشر  
 الباحثين عن حال الانسان القديم ، فلا بد لنا من الاكتفاء بتقويمنا الزمني على  
 علاقته ولو اضمنا منه الوف السنين . هذا ولا بد من ان نتحقق من اننا ندرس  
 التطورات في نواحي الصناعة والفن المتصلة بالحياة الاجتماعية . وهذه تطلبت زماناً  
 اكثر طولاً ، وقد تحركت مجرعات ابطأ جداً مما حدث مع امثالها في عالمنا  
 المصري . عهدئذ اي في العهد الطراني الاول لم يكن المذباغ ، ولم تكن  
 الطيارات ، مما يوذي الى سرعة التواصل في الافكار والى استعجال وقوع  
 الحوادث .

### ما نعرفه عن الانسان القديم

لقد بحثنا معيشة الانسان القديم والاساليب العملية في درس بقاياها ، وامعنا  
 النظر في كيفية الوقائع المختصة به وبتلك البقايا . ومن البديهي اننا كلما  
 تقربنا بالزمان الى الانسان المصري اتسع المجال لاكتشافاتنا وتعلمياتنا عن انسان  
 العصر الحجري الاقدم ، وقلنا اننا نستطيع ان نعين له موضعاً ما ثابتاً في احد  
 اطوار الزمان . ويمكننا بكل سهولة ان نقرر في اي جوة عاش في مختلف اطوار  
 حياته ، وان نعرف الكثير من اغذيته وقد ترداد معرفتنا مع تكرار الحفريات  
 بما كان لديه من آلات .

هذا وقد المعنا في بحثنا السابق حول موضوع التراب الحديدي ، الى عادات  
 الشعوب غير المتمدنة ، وهي تساعدنا اليوم ، على ان نعرف اكيراً كيف كان  
 الاقدمون يستخدمون بعض الاشياء والآلات وربما قدمت لنا الاثنولوجية ،  
 وهي علم عادات الانسان ، المادة اللازمة لابرار الحكم في هذه الامور تارةً عن  
 يقين تام ، وطوراً على سبيل التكهن والتخمين .

ولقد ترداد حاجتنا الى التقييد بهذه القيود في ما نبهه من الاحداث المتقاربة  
 من عهد التاريخ المكتوب .

اما في العهد الحجري القديم فلا تزال اشياء كثيرة غير التي ذكرناها لا يعرف شيء من احوالها ، ويعتبرها العلماء سراً مطلقاً . وليس بين ايدينا حتى الآن ما يقتح لنا مفهوماتها او يظهر امامنا طريقة احتمالها حتى في الامس القريب منا .

وبينا انا اخط هذه الاخطر ، وجدنا في كسار عقيل قرني بقر لم يبق منها الا اصلاصا ، مع قطعة من جمجمة ملتصقة بكل منها . وقد وجد الواحد بجانب الاخر وكأنها صنما لغاية ما ، ولكن مها قلت الآن عنها فلا يعدو قولي ان يكون ضرباً من التكهن والتخمين .

وهناك اشياء لا يمكننا حل رموزها . واشياء اخر لم نعتد قط على اثر لها . مثال ذلك القول اليس من المستحيل ان يكون الانسان قضى الاطوار القديمة لتدنه دون ان يفكر في صنع بضع آلات خشبية ، ولو قدرنا انه صنعها افا تكون مع مرور الايام قد بليت وعفا اثرها . واذا صح قولنا هذا في الاشياء المادية فكيف يكون صحيحاً في الشؤون المعنوية . بما لا تزال مجهول امره كالنظام الاجتماعي ، ومبادئ العدالة ، وطرق التفكير وغير ذلك .

تلك هي العناصر الهامة التي تبين الفرق الجوهرية بين الانسان والحيران غير الناطق .

ومع ذلك ، يمكننا بقليل من الحضافة وكثير من المعرفة ، ان نقبس من درجة اتقان الشغل في الآلات بصيصاً من النور حول صناعة العامل ، وباستطاعتنا ، ونحن عائدون الى الازمنة السوالف ، ان نتكهن عن نشأة النظام الاجتماعي ، ونقابل بين البلاد الآهله والبلاد غير الآهله ، ومن ذلك نستنتج عقلياً ان الدفن عن سابق تصمم معناه بعض الاعتقاد بحياة اخرى بعد هذه الحياة الدنيا . وان آثار الانسان القديم تشهد مباشرة ببلوغه درجة من الصناعة والفن في محطة من الزمن يمكن الاشارة اليها . وان هذه الحالة ، على ما فيها من صناعة وفن ، لا تؤدي الى ادلة تستدعي اليقين فيما يختص بغير انواع من العادات ، لان تلك الآثار لم تتسل الا تمثيلاً ضئيلاً في مكشفاتنا . والبرهان على ذلك ان بعض التباثل في يومنا هذا لم تبلغ بعد من الرقي الصناعي والذني

الدرجة حقيرة جداً ، ومع ذلك فقد توج فيها مجاري افكار سامية مثلاً فيما يخص طبيعة الله<sup>١١</sup> .  
وان رجال العلم لا يجرون على الاشادة بنظرياتهم فيما يخص الانسان الاول ، كما لو كانت هذه النظريات ثابتة لا جدل في صحتها ، وهم يجمعون عن الخوض في بحث الامور العائدة الى ما وراء التاريخ ، فيتربصون ولا ينطقون الا بالظن ، والعاقل يميز في ما يعرفه معرفة الترجيح او اليقين .

### الخام

اكل حكاية مزهاها وحكاية الانسان الاول مفزى . اتنى للقراء ان بقدر ما يقتضيه مثل هذا الدرس من دقة وتمب ، وان يتخطوا ذلك فينظروا بين الاحترام الى الانسان الاول ، والى البقايا التي تشهد بصنع يده . فاذا برز شيء منها مثلاً في حفر اساس لينا بيت ، اصبح من الواجب عليهم ابلاغ الامر حالاً الى دائرة الآثار مقدمين لها المعلومات الكافية السريعة عن حالة الموضوع وعمقه وطبيعة ارضه وتاريخ اليوم الذي حصل فيه الاكتشاف . ان آثار الزمان الغابر جديرة بان يحفظها الجيل الحاضر . انها ثمينة في نظر رجال العلم ، وثمينة بذاتها لا من حيث هي تحف من روائع المتاحف ولا من حيث تقديرها بالذهب الاصفر الزمان ، ولكن من حيث انها مواد يتسع بظهورها ميدان المعرفة عن الانسان القديم وتاريخه . هذا وان البحث في الانسان بذاته ، بعد البحث في طبيعة الله وتديده ، لأعلى من ان تقدر قيمته .

(١) زاجع كتاب العلامة الاب شيد عن ظهور اول تفكير باث : Wilhelm Schmidt, Die Ursprung des Gottesidee.